٢ ـ حكاية الوفد الكسروى

لأســتاذ جليل

من صائغ أسطورة (الوفد القرشى) التى وردت فى العقد والأغانى ؟

ابن عبد ربه يرويها عن نعيم بن حماد عن عبد الله بن المبارك عن سفيان الثورى عن ابن عباس . وأبو الفرج ينسخ الخبر من كتاب عبد الأعلى يحدثه الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس . . .

ابن عبد ربه أقدم من أبى الفرج ؛ فقد ولد سنة ٢٤٦ وتوفى سنة ٣٢٨[1] فى ذلك الإقليم النائى . وصاحب الأغانى ولد سنة ٢٨٤ وتوفى سنة ٣٥٦ . فقد يكون صاحب العقد وقف على مصنف أسبق مما وقف عليه أبو الفرج ، وربما اطلع هذا على مؤلف أثبت وإن تأخر وقته . فهل صاغها نعيم أو صائغ عزاها إليه أو[2] زخرفها الكلبى ، وإن كان سجعها يبدو بغدادياً لا كوفياً ، وهل لشبل الكلبى . . . أعنى ابنه هشاما يد فيها ، وهل أودعها كتاب وفوده ؟

نقص الخزانة العربية اليوم يصدنا أن نجيب جواباً مضبوطاً . فلعل بقيات مما نجا من الزمان والتتر والصليبيين والأسبان محرق كتبنا ومغرقيها — يظهر فيخرجنا من ظلمات حالكات نحن فيها

ولا ضرر — وقد عرفنا ذروراً من أخبار ابن الكلبى — أن نعرف شيئاً عن أبيه الكلبى . وهذا بعض ما جاء فى (ميزان الاعتدال فى نقد الرجال) ج ٣ ص ٦١ :

« قال الثورى : اتقوا الكلبى . فقيل : إنك تروى عنه . قال : أنا أعرف صدقه من كذبه . قال يحيى بن يَعلَى عن أبيه : كنت أختلف إلى الكلبى أقرأ عليه القرآن فسمعته يقول : مرضت مرضة فنسيت ما كنت أحفظ ؛ فأتيت آل ... فتفلوا فى فىّ فحفظت ما كنت نسيت . فقلت : لا والله لا أروى عنك بعد هذا شيئاً ، فتركته . قال يزيد بن زريع : حدثنا الكلبى وكان سبئياً . قال الأعمش : اتقوا هذه السبئية ، فإنى أدركت الناس وإنما يسمونهم الكذابين . قال ابن حبان : كان الكلبى سبئياً من أولئك الذين يقولون : إن عليا لم يمت وإنه راجع إلى الدنيا ويملأها عدلاً كما ملئت جورا ، وإن رأوا سحابة قالوا : أمير المؤمنين فيها[1] . التبوذكى : سمعت الكلبى يقول : أنا سبئى . ابن معين : الكلبى ليس بثقة . وقال الجوزجانى : كذاب . وقال ابن حبان : مذهبه فى الدين ووضوح الكذب فيه أظهر من يحتاج إلى الإغراق فى وصفه ، يروى عن أبى صالح عن ابن عباس التفسير ، وأبو صالح لم ير ابن عباس ، ولا سمع الكلبى من أبى صالح إلا الحرف بعد الحرف ، فلما احتيج إليه أخرجت له الأرض أفلاذ كبدها ، لا يحل ذكره فى الكتب ، فكيف الاحتجاج به ... »

* * *

قولى منذ (١٩) سنة « ولن يجوّز العقل أن يقعد ابن الأكاسرة لاستماع ثرثرة كل مهذار نفاج ، ويفرغ لشهود مجرفة المتعجرف وعنجهيته » — لا يدل إلا على ما يدل عليه ، وهو شرح حال اقتضاه المقام ؛ ونقدُ رهط لغوا عن الصواب فى الخطاب لا يعم فضائلهم وعشائرهم ، ودع عنك عمومه الجيل الذى أبدع (المبدع) منه تلك الأمة . والثرثرة والهذر والنفج فى أقوال الوفد الكسروى ظاهرة . فهل يُعقل أن يُستقبل مثل كسرى بها وهو سلطان زمانه ، وأقاليم فى الجزيرة من أعماله ، وأمثال النعمان من عماله . وقد تفطن الصباغ لشىء من ذلك فقوّل كسرى فى ختام الأسطورة ما قوّله ، وقوّله حين لغا أكثم بما لغا به[2] : « ويحك يا أكثم ، ما أحمقك وأوثق

(١) هذا فى (وفيات الأعيان) ، وفى أعلام الأديب الكبير الأستاذ الزركلى نيفان سنة ، وقد بالغ العلامة الأستاذ فى تحقيق كتابه وإحكامه

(٢) جئت ب (أو) إذا لم أجعله استفهاما منقطعا وجعلته كلاما واحدا . وفى (الكتاب) : هل يسمعونكم إن تدعون أو ينفعونكم أو يضرون . وقال زهير : ألا ليت شعرى ... البيت

(١) فى الرسالة ١٩٢ ص ٣٦٨ س ٩ جريدة لأكثر المهديين المنتظرين ، يراجع هذا الجزء

(٢) لغا بكذا : تكلم به

كلامك لولا وضعك كلامك فى غير موضعه »

وليست خطبة أكثم من إنشاء (الواضع) ولكنها أمثال قديمة متفرقة منسوب أكثرها إلى أكثم بن صيفى هذا ، وقد ألف بينها من صاغ الخبر فما تجاوبت ولا تناسبت

وأحب أن أقول اليوم : إن العربية الحقيقة بأن نستمسك بها ونتعصب لها هى التى ذكرت فى (الرسالة) ٢٢١ ص١٥٦٢ السنة ٥ :

« وإذا ذكرنا العربية فإنما نعنى هذه العبقرية ذات التعاجيب المحمدية ، وهذه القوة الخلقية ، وهذه المقاصد القرآنية ، وهذه الآداب الإلهية ، وتلك الحضارة والمدنية ... ليست العربية نسبة ولكنها جامعة تؤلف بين القلوب ... فالعربى هو ذلك المتمدن المتحضر المهذب المثقف المتعلم العالم العزيز الأبى الناطق بلسان القرآن ، وليس بعرب (خُرّاب بادية غرثى بطونهم[1]) ولا قراضيب[2] فى (الجزيرة) ولا مُدلفِسُون[3] ... »

وقد دفع أدباء وعلماء من السلف إلى تفخيم العربية الجاهلية عصبية أو ولع بتعظيم قديم ، ودعت إلى التنويه بها فى هذا الزمان مقاصد خبيثة غربية

إن العربانيين المنتمين إلى دور السياسة و (التضليل) يقولون متوهين : كانت العرب فى الجاهلية وكانت ، وكان عندهم ما كان ، فماذا عملت الإسلامية ، وبأى شىء جاء محمد ؟

« هم العدو ، فاحذرهم ، قاتلهم الله أنّى يُؤفكون »

* * *

خبر الوفود

إن هذا الخبر لا أصل له ، فلم يقل النعمان فى وقت ما قال ، ولم يرسل من ذكرته القصة ، ولم تتحرك الألسنة قدام كسرى بشىء مما روى قط ، ولم يشر إلى هذه الواقعة مؤرخ أو أديب فى مصنف عرفناه أقل إشارة . وقد زخرفه مزخرفه كما صاغ الصواغون من قبله وكما صيغ الصياغون من بعده ، وقد سيطرت عليه لغته ولغة وقته ، فلم تشبه نثر الجاهليين وإن كنا لا نعرفه إذ لم يثبت من النثر القديم إلا القرآن كما ذكرت ذلك منذ (١٩) سنة ، وإن كنا نجهل ذلك النثر[1] فإننا نتصوره ، ولا ريب فى أن هناك نثراً بدوياً[2] ونثراً حضرياً وقد نزل القرآن بالنثر الحضرى لأنه إنما كان لكل جيل وزمان . ولم يشبه أسلوب الخبر أسلوب الإسلاميين ، ولدينا من هذا القرن ما قد يطمأن إليه بعض الاطمئنان

إن صائغه أنشأه (مقامة) لفقها ونمقها ، ولم يحتط ، ولم يفكر فى أن يحتاط ، ولم ير حاجة إلى ذلك هو فى منثور ينثره هو فى (البلاغة)[3] لا فى تاريخ يحققه ؛ على أن التاريخ هو ابن عم الأسطورة : وفى الخبر أشياء أدل على الوضع من أشياء ، وهذه طائفة منها . (له)

(١) التنبي . الخارب : اللص رخصه الأصمعى بسارق البعران

(٢) القرضوب : اللص

(٣) الأدلفقاف : المجىء للسرقة فى ختل واستتار

(١) كلام الناس ، حديثهم من نثرهم ، وقصة ذلك الغريق فى تلك الرواية مشهورة

(٢) هناك نموذجات قلدت النثر البدوى وهى غير المعروف قد تعين فى مثل هذه المباحث

(٣) كانوا يسمون النثر فى ذلك العصر بالبلاغة ، يدل على ذلك ما ذكره أبو بكر الصولى فى كتاب الأوراق فى أخبار أبى محمد القاسم ابن يوسف . قال أبو بكر : « حدثنى الحسن بن يحيى قال : قالوا للقاسم ابن يوسف : أقبلت على الشعر وتركت البلاغة ، فقال امتحنونى . فقيل له فاكتب إلى محمد بن منصور ... فكتب .. الخ

قريباً :

تصدر الطبعة السادسة

من كتاب

آلام فرتر

بقلم الأستاذ

أحمد حسن الزيات